وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

المحاضرة الأولى:

فلسفة البحث، دورها وتأثيرها على بناء عناصر البحث العلمي (الأساس الفلسفي لهيكل المذكرة)

الفئة المستهدفة: السنة الثانية ماستر– تخصص سياسات عامة

السنة الجامعية: 2026/2025

مـقـدمـة:

سؤال نفتتح به المحاضرة الأولى ومحتوى السداسي الأول في المادة: **لماذا نتحدث عن فلسفة البحث قبل أن تناول منهجية إعداد مذكرة بحث؟**

على الرغم من الفرق الواضح بين خطوات البحث بين انجاز البحث العلمي ومراحل الكتابة في إعداد البحوث العلمية، فإنه من المهم لطلبة الماستر أن يدركوا أهمية فهم فلسفة البحث، دورها وتأثيرها على مرحلة انجاز البحث (الخطوات العلمية) ومرحلة الكتابة (وفق البنية أو الهيكل المناسب)؛ لأن السائد في هذا المجال (منهجية البحث في العلوم الاجتماعية عامة والعلوم السياسية خاصة) أن خطوات البحث وطرق البحث وأهمية مناهجها وأداوتها واساليبها وفي كيفية توظيفها، هي ترتبط وتتأثر حسب النظرة أو المنظور الفلسفي المتبع من الباحث، فكل فلسفة ترتبط بها طريقة البحث وخطواتها وحتى طريقة كتابة التقرير النهائي وترتيب عناصر المذكرة وأجزائها. وهذه هي الأهمية التي تأتي في تقديمنا لهذه المحاضرة كانطلاقة لتقديم محتوة المادة.

ويجادل أغلب الكتاب والباحثين في هذا المجال، مثل (Mark Saunders, Philip Lewis and Adrian Thornhill)، بأن أسئلة البحث ذات صلة بالبراديغم (paradigm) الذي يتم تطبيقه على بحثك، حيث يمكن استخدام كل من الطرق والأساليب النوعية والكمية بشكل مناسب مع كل نموذج فلسفي الذي يحدد كنظام المعتقد الأساسي أو وجهة نظر العالم التي توجه التحقيق، ليس فقط وجوديا أو معرفيا وإنما حتى في الاختيارات المنهجية: هذا المصطلح الشامل "فلسفة البحث" يتعلق بتطوير المعرفة وطبيعة تلك المعرفة، فعلى الرغم من عمق هذا، فإن النقطة المهمة هي ان هذا يرتبط بشكل دقيق حول ما تفعله عند الشروع في البحث. إن تحديد ما تريد بلوغه في البحث (إما بناء نظرية جديدة، أو التحقق من نظرية وتأكيدها، أو حل مشكلة، إلخ)، يؤثر او يتطلب نموذجا بحثيا مناسبا.

1- فلسفات البحث الرئيسية: ماهي فلسفة البحث ولماذا هي مهمة؟

يشير مصطلح فلسفة البحث إلى منظومة من المعتقدات والافتراضات حول تطوير المعرفة وتحديدا ما تفعله عند الشروع في البحث بهدف تطوير معرفة علمية في مجال معين، وهذا يحتاج إلى تحديد فلسفة بحثك أو النظرة العالمية التي يجرى بحثك في إطارها، حيث تؤثر على البيانات التي تحظى بالأولوية وكيفية تفسيرها؛ والافتراضات حول الحقائق التي تواجهها في بحثك سواء كانت افتراضات وجودية (أنطولوجيا *ontological*) أو معرفية (ابستيمولوجيا *epistemological*)، وحول مدى وكيفية تأثير قيمك الخاصة على عملية بحثك كافتراضات قيمية (الإكسيولوجيا *axiological*). وحتما تشكل هذه الافتراضات كيفية فهمك لأسئلة بحثك والأساليب الملائمة التي تستخدمها، وكيفية تفسيرك للنتائج. وهذا يعني أن كل نظرة يؤمن بها أو اختارها الباحث ترتبط بطريقة محددة حول كيفية تصميم البحث وإعداده وفق الأساليب الملائمة.

الشكل رقم (01): شرائح بصلة البحث حسب (Mark Saunders and et.al)

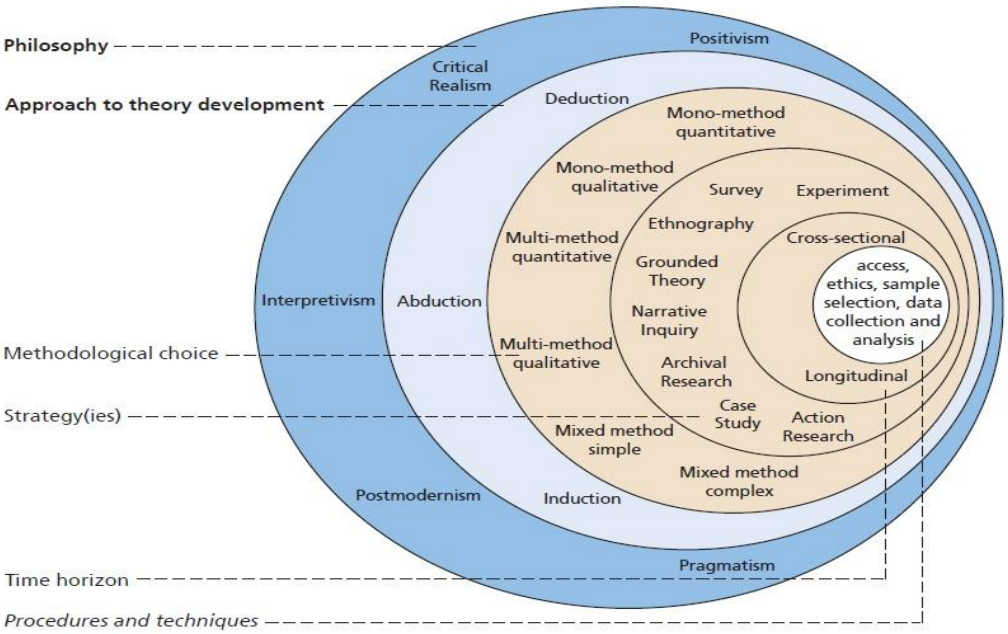

"بصلة البحث لـ سوندرز وآخرون" (The 'research onion')، كما موضحة في الشكل رقم (01)، هي أداة توضح دور فلسفة البحث من الأفكار الكبرى إلى الخطوات البحثية العملية، حيث تؤثر على سؤال وأسئلة البحث، الفرضيات، منهج أو منطلقات البحث (استنباطي، استقرائي) وطريقة البحث (كمي، نوعي، أو مختلط)، والتقنيات والأدوات والإطار النظري للبحث، وعلى تصميم أو هيكل البحث ككل.

فلسفة البحث كإطار فكري يحدد كيفية إدراك الواقع (ontological) وكيفية اكتساب المعرفة (epistemological)، بالإضافة إلى الاعتبارات القيمية (axiological)، وبطرق وأدوات محددة

(Methodoligical) تصفها الأدبيات في خمس تيارات رئيسية في العلوم الاجتماعية: الوضعية (Positivism)، التفسيرية (Interpretivism)، البراغماتية (Pragmatism)، الواقعية النقدية، ، أهمها:

أولا- الوضعية:

تزعم هذه الفلسفة البحثية أنه يمكن فهم العالم الاجتماعي بطريقة موضوعية، وفي هذه الفلسفة البحثية يكون العالم أو الظاهرة محللة موضوعيا حيث يكون منفصلا عن الباحث وينأى عن قيمه الشخصية وآراءه التي تؤثر في البحث. ووفقا لهذه النظرة يعتمد البحث على آراء واهتمامات الباحث.

ثانيا- التفسيرية:

عكس الوضعية، فلسفة البحث التفسيرية ترى أنه يمكن تفسير الواقع/العالم الاجتماعي ذاتيا، وبذلك فهي تولي اهتمام أكبر هنا لفهم الطرق التي يختبر بها الناس الواقع/العالم الاجتماعي، حيث تقوم التفسيرية على مبدأ مفاده أن للباحث دورا محددا في ملاحظة الواقع/العالم/الظاهرة الاجتماعية(ة)

ثالثا- الو اقعية النقدية:

تعتمد فلسفة البحث الواقعية النقدية عل مبادئ فلسفات البحث الوضعية والتفسيرية، حيث تعتمد فلسفة البحث هذه، على افتراضات ضرورية لإدراك الطبيعة الذاتية للإنسان.

رابعا - البراغماتية:

أما فلسفة البحث البراغماتية فهي تتعامل مع الحقائق، وتدعي أن اختيار فلسفة البحث في الغالب تتحدد من خلال مشكلة البحث المطروحة، وتعتبر النتائج العملية مهمة، وبذلك فإن البحث البراغماتي لا ينتمي إلى أي نظام فلسفي، حيث يتمتع الباحثين بحرية الاختيار، فالباحث البراغماتي هو "انتقائي" له حرية اختيار الأساليب والتقنيات والإجراءات التي تلبي احتياجاتهم وأهداف البحث العلمي على أفضل وجه. ولا يرى البراغماتيون العالم كوحدة مطلقة، ولكن الحقيقة ما يجري حاليا، فهي لا تعتمد على العقل الذي لا يخضع للواقع وثنائية العقل.

يقول سوندرز وآخرون، ان البراغماتية تجادل ان اهم محدد فلسفة البحث المعتمدة هو سؤال البحث، فقد يكون احد النهجين أفضل من الآخر للإجابة على أسئلة معينة، وإذا لاحظت ان سؤالك البحثي لا يشير بشكل لا لبس فيه إلى تبني الفلسفة الوضعية أو التفسيرية، فلإن هذا يؤكد وجهة النظر البراغماتية القائلة بانه من الممكن تماما العمل مع كلتا الفلسفتين، وهذا يعكس موضوعا يتكرر في الكتب التي تتناول أهمية الطرق والأساليب المختلطة النوعية والكمية مع بعض، حيث تفضل أغلب الأدلة البحثية أن دراسة موضوعك بالطرق المختلفة يمكن أن تحقق نتائج إيجابية ومتكاملة.

2- ارتباط الميثودولوجيا (المنهجية) بالأسئلة الابستيمولوجية والأنطولوجية:

(Dissanayake E V A) التي تشرح في ورقتها البحثية "منهجية تصميم البحث العلمي"، استنادا إلى "نموذج البصلة البحثية لـ سوندرز وآخرون" لأهميته قبل الشروع في اعداد الدراسات البحثية والرسائل

والاطروحات الجامعية، تلخص المساهمات التي توضح أن بعد طرح الباحث لسؤاله وهو كيف يمكن إجراء البحث وتصميمه، يجب أن يبدأ الباحث تحديد منهجية البحث وأن يحسم أي النموذج البحثي المتبع أو الفلسفة الرئيسية المناسبة مع اختيار المناهج والأساليب والتقنيات والاستراتيجيات في جمع المعلومات وتحليلها، بالإضافة إلى تحديد الوقت والآفاق التي تأخذ في مجملها منطق البحث إلى إعداده.

هذه المساهمات التي تلخص وتوضح كيف تؤثر فلسفة البحث على طريقة إجراء البحث وإعداده بالقول أن الباحث يجب أّن تكون لديه رؤية واضحة للنماذج أو النظرة للعالم الاجتماعي التي تزوده بأسس فلسفية ونظرية مفيدة ومنهجية مجددة. هذا التوجه يدعمه باحثين متخصصين ومرموقين في هذا المجال، ووفقا لـ جلينر ومورجان (Gliner JA, Morgan GA) نموذج البحث العلمي هو المنهج أو التفكير في البحث وعملية الإعداد وطريقة التنفيذ، وفي رأي "ماغي والتر" (Maggie Walter) التي تشرح ارتباط الأنطولوجيا والابستيمولوجيا بالمنهجية التي تشكل هيكل البحث الداعم، أن البحث يتأثر بنائه وتنظيمه بالنموذج الذي يتناسب مع طبيعة البحث الذي تتم فيه تطوير الإطار و/أو المنظور النظري، وبالتالي المنهجية أو الطريقة العامة للبحث كما يذكر ماكنزي وكنايب (Mackenzie N, Knipe S.) ترتبط بالنموذج أو الأساس النظري الذي يتطلب طريقة أو طرق ومناهج وإجراءات وأدوت وأساليب منهجية ملائمة لجمع البيانات وتحليلها.

وفي نفس السياق "سميث إيستر بي وآخرون" (Easterby-Smith et.al) في وصفهم لاهم نماذج البحث العلمي السائدة (الوضعية، التفسيرية، النقدية) ناقشوا أهم ثلاث مكونات رئيسية لفهم فلسفة البحث: علم الوجود (الأنطولوجيا)، نظرية المعرفة (الابستيمولوجيا)، وعلم المناهج (الميثودولوجيا). لتوضيحهم أن الاختلاف بين النماذج الفلسفية تحدده هذه المكونات الثلاثة المترابطة في إجراء البحث.

مكونات نموذج البحث	الوصف
نظرية المعرفة *Epistemology*	*المحددات العامة والافتراضات المرتبطة بالطريقة المثلى لاكتشاف طبيعة العالم الاجتماعي/الظاهرة الاجتماعية.*
علم الوجود *Ontology*	*الإفتراضات العامة الموضوعية لإدراك الطبيعة الحقيقية للمجتمع بهدف فهم الطبيعة الفعلية للمجتمع/الواقع الاجتماعي.*
علم لمناهج *Methodology*	*مزيج من الأساليب والتقنيات والأداوت المختلفة التي يستخدمها الباحثون والعلماء لدراسة وفهم مختلف المواقف والظواهر*

وبالتالي هذه الفلسفات البحثية المختلفة ليست مجرد خيارات نظرية، وإنما نماذج بحثية تحدد المنهجية بأكملها، كما في نموذج البصلة البحثية، الذي يتكون من ستة طبقات كل طبقة مخصصة لعملية بحث مفصلة تبدأ بتقشير الطبقة الأولى حيث تشكل الطبقة الخارجية (فلسفة البحث) التي تؤثر على الطبقات الداخلية التي تتمثل: في منطلقات البحث والعمليات العقلية العام-الخاص (الاستنباط-الاستقراء)، وطريقة البحث المتبعة (كمي-نوعي-مختلط)، والأدوات والتقنيات والأساليب المستخدمة في

جمع المعلومات والبيانات (المقابلة الاستبيان، المسح، دراسة الحالة، إلخ). وتؤثر على ترتيب عناصر البحث وأجزاءه وفقا للطريقة المتبعة.

3- فلسفة البحث وتأثيرها عناصر البحث العلمي:

أولا- تأثير فلسفة البحث على نهج الدراسة ومنطلقاتها:

يعد البراديم الوضعي كما وصفه مارك سوندرز، ولويس فيلب، وادريان ثورنهيل (Mark Saunders, Philip Lewis and Adrian Thornhill)، فلسفة البحث تلعب دورا محوريا في منطلق البحث (من العام إلى الخاص أم من الخاص للعام). لإن الوضوح في تحديد منطلقك البحثي أو الإطار النظري منذ البداية يؤثر ويرتبط وهيكل بحثك وتصميمه. تقريبا كل دراسة بحثية ستتضمن توظيف إطار نظري محدد، وينبغي عليك أن تحدد منطلق بحثك (العملية العقلية) هل ينبغي عليك أن تستخدم المنهج الاستنباطي (Deduction) المرتبط بالفلسفة الوضعية، تقوم فيه بتطوير نظرية أو فضية أو فرضيات وتصميم استراتيجية بحثية لاختبار الفرضية (testing theory)؛ أو النهج الإستقرائي (Induction) المرتبط بالفلسفة التفسيرية، والذي ستجمع فيه البيانات لتبني نظرية (building theory) كنتيجة طبيعية لتحليل هذه البيانات.

وحول تأثير فلسفة البحث على النهج وبناء البحث وإعداده، فإن، البراديم البحثي (فلسفة البحث) تؤثر على منطلقاتك البحثية والنهج الذي تسلكه في إجراء البحث (النهج **الإستنباطي** ام **الاستقرائي** ام كليهما)، فهل تقوم **باختبار نظرية** وفقا للطريقة الكمية بالقياس (**البحث الكمي**)، ام أنك تدرس حالة أو **تبني نظرية** أو معرفة جديدة من حالات متعددة **بالتأويل والتفسير**؟ (البحث **النوعي** أو **الكيفي**)؛ وهذه الاختيارات تؤثر على إجراء البحث وتصميمه أو إعداده حسب الطريقة المختارة؛ وهذا التأثير ينطبق على خيار دمجك للفلسفتين او النهجين بطريقة استقصائية وفق **موقفك البراغماتي** (في بحث **مختلط**).

ثانيا- كيف تؤثر فلسفة البحث على اختيار موضوع البحث؟

تلعب قيم الباحث دورا محوريا في جميع مراحل عملية البحث خاصة أذا كانت رغبته في ان تكون نتائج البحث ذات مصداقية، أو المهارة الأكسيولوجية (Axiology) التي يظهرها الباحث من خلال قدرته على التعبير عن قيمه كأساس لاصدار أحكام حول البحث الذي يجريه أو يجرونه وكيف يقومون به. ومن اهم المراحل التي تؤثر فيه الإكسيولوجيا هو أهمية القيم في اختيار موضوع البحث، حيث يشير هيرون، سوندرز، فيليب، وثورنهيل"، انها تلعب دورا في اختيار موضوع بدلا من آخر وهذا مرتبط باعتقاد الباحث أن أحد الموضوعات أكثر أهمية. وبالتالي اختيارك للنموذج الفلسفي هو انعكاس لقيمك، وكذلك اختيارك لتقنيات جمع المعلومات. فقد قد تتأثر قيمك البحثية بتوجهات المؤسسة التعليمية، أو المشرف او بجهة التمويل، أو بأصحاب المصلحة، وإلخ وكل هذا يؤثر على النتائج.

ثالثا- كيف تؤثر فلسفة البحث على سؤال/أسئلة البحث؟

يذكر ماكنزي وكنايب (Mackenzie N, Knipe S.) أن النموذج البحثي وسؤال البحث هو الذي يحدد أي طرق جمع البيانات وتحليلها ستكون الملائمة للبحث (الكمية، النوعية، المختلطة)، وبهده الطريقة لا يصبح الباحثون باحثين في الأساليب الكمية والنوعية، بل يقومون بتكييف طريقة جمع البيانات وتحليلها مع الطرق الأكثر ملائمة لبحث معين، كما يمكن استخدام عدة طرق للتكيف مع النماذج بدلا من استخدام طريقة واحدة يمكن أن تضعف وتحد دون داع من عمق وثراء المشروع البحثي.

هنا الباحث في انجاز بحثه لا يختار عشوائيا ما إذا سينتمي او يستخدم منهج كمي أو كيفي، بل يجب ان ينطلق من سؤال البحث والنموذج (الإطار النظري/الفكري) الذي يتبناه كي يحدد انسب طريقة لجمع البيانات وتحليلها؛ وهذا يعني أن المنهجية هي تابعة للموضوع وطبيعته، وليست هوية يختارها الباحث مسبقا مثل انا باحث كمي أو نوعي أو مختلط. لكن من الأفضل دائما أن يكون الباحث متكاملا وأن يستعمل أكثر من طريقة (كمية +نوعية) في الوقت نفسه ليزيده غنى وعمقا.

رابعا- كيف تؤثر فلسفة البحث على فرضيات البحث؟:

يشكل البراديغم الإطار الذي يحدد اختيار المنهجية، وبالاعتماد على التحقق من الاحتمالات والتخمينات والاجوبة المؤقتة، فإن الباحث وفقا للافتراضات الابستيمولوجية، يفضل الطريقة الكمية للقياس الموضوعي يكون الباحث منفصلا عن المبحوث، كما يشرح بريمان أن التوافق بين النموذج الفلسفي والطرق يعزز من الصلاحية الداخلية للبحث وأن البحث الكمي يؤكد عادة على أدوات اختبار الفرضيات بجمع المعلومات باستخدام أدوات مثل الإحصاء والاستبيان. عكس النموذج الفلسفي التأويلي أو التفسيري الذي يطرح أسئلة استكشافية لاستكشاف المعاني الذاتية، بدلا من الافتراضات القابلة للتحقق والاختبار

كيف تؤثر فلسفة البحث على مراجعة الدراسات السابقة؟:

تشكل فلسفة البحث الأساس الذي يحدد إجراء مراجعة للأدبيات، حيث تؤثر الافتراضات الأنطولوجية والإبستيمولوجية على اختيار المصادر وطريقة تحليلها، مما يضمن توافق المراجعة مع النماذج المعرفية الفلسفية، فعلى سبيل المثال تركز على مراجعة المصادر الكمية والأدبيات القائمة على الإحصاء والمعلومات الرقمية والبيانات والمعلومات من مصادر مباشرة (ميدانية)، بينما التأويلية تؤكد على المقولات والروايات الذاتية لفهم السياقات الاجتماعية، كما أبرز ذلك سوندرز ، وليويس وثورنهيل أن الفلسفة البحثية التي تتبناها تحتوي على افتراضات مهمة حول الطريقة التي ينظر بها إلى الواقع ، كواقع ناشئ من التفاعلات الاجتماعية بدلا من كونها شيء موجود مسبقا يحتاج الاكتشاف (الفجوة البحثية)

خامسا- كيف تؤثر فلسفة البحث على تحديد منهجية البحث

يشكل البراديم الفلسفي الإطار الذي يحدد اختيار المنهج العلمي، حيث تفضل النماذج باختلافها طريقة للبحث ووفقا للافتراضات الابستيمولوجية، إلى تفضيل الوضعية طريقة كمية صارمة للقياس الموضوعي، أو التأويلية التي تفضل المناهج النوعية لاستكشاف المعاني الذاتية، وهو النهج الاستقرائي

البنائي الذي يركز على المقولات والكلمات بدلا من القياس الرياضي وهذا يوضح مدى توافق الطرق مع النماذج الفلسفية.

سادسا- كيف تؤثر فلسفة البحث على التأثير على هيكل البحث ككل (على تقرير البحث)؟

يقدم (john Creswell and David Creswell) في كتابه سنة 2009، ثلاث طرق بحثية تؤثر على بناء البحوث العلمية الأكاديمية وتنظيمها في مرحلة الكتابة: التصميم الكمي، التصميم النوعي، التصميم مختلط. وبناء على التعريفات المقدمة البراديم البحثي الذي يتضمن افتراضات فلسفية ومناهج وإجراءات منهجية مميزة، يوجه كل من جون كريزويل وديفيد كريزويل ((John Creswell and David Creswell الباحثين لضرورة استيعابهم لحقيقة ان هناك ارتباط وتقاطع بين فلسفات البحث وتصميمات البحث والأساليب المحددة، فقبل اقتراح بحث او خطة لأجراء بحث وإعداده يحتاج الباحثون والطلبة التفكير في برادايغمات البحث الفلسفية التي توجه الباحث لتصميمات بحث مختلفة باختلاف هذه النماذج البحثية وبشكل أكبر الوضعية والتفسيرية والبراغماتية. كما هو موضح في الشكل رقم (02).

ويمكن أن توضح السيناريوهات النموذجية للبحث كيف تتحدد عناصر البحث ويختلف التصميم حسب كل موقف فلسفي متبع: فالطريقة الكمية التي تتبع النظرة الوضعية يكون التصميم تجريبيا. اما الطريقة النوعية، التي تتبع نظرة بنائية للعلم تتبع التصميم الإثنوغرافي ومراقبة السلوك، تصميم سردي. اما الطريقة المختلطة التي تتبع النظرة العالمية البراغماتية تجمع ما بين الكمية والنوعية بشكل متسلسل في التصميم وبناء البحث.

الشكل رقم (02): الترابط بين البراديغمات البحثية الفلسفية وطرق تصميم البحوث وأساليب البحث

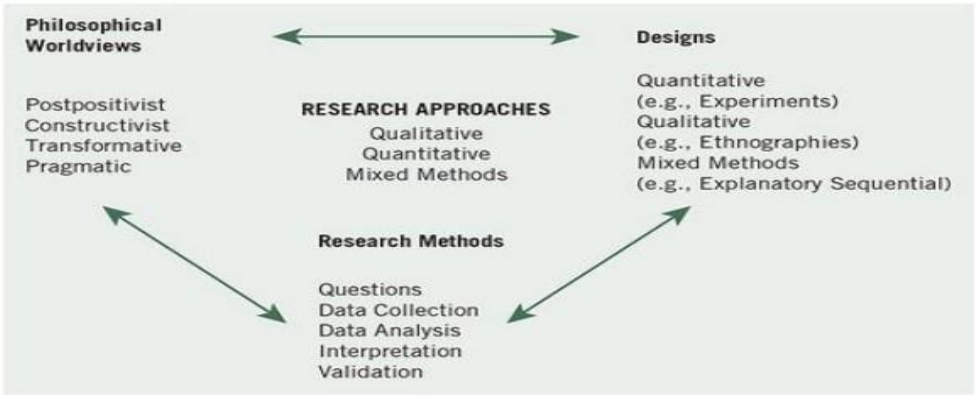

ما هو أفضل براديغم فلسفي للبحث؟

يعتمد البراديم أفضل على سؤال/أسئلة البحث التي تسعى للإجابة عليه، لأن كل نموذج هو الأفضل وله نقاط قوة في القيام بأشياء مختلفة، ولكم في الواقع العملي هو ان البحث نادرا ما يقع بدقة في مجال فلسفي واحد (كما هو مقترح في البصلة البحثية)، فمجال العلوم الاجتماعية بشكل عام والعلوم السياسية تحديدا تتطلب مزيجا من الوضعية والتفسيرية، وربما تعكس المواقف الواقعية وما بعد الحداثية، وهو ما يدفعنا للحديث عن التفكير بطريقة أكثر مرونة في النهج والأساليب البحثية التي يتبناها الباحث أقرب للبراغماتية والطرق المختلطة في البحث.